بديلة

السورية، على أن يتم ذلك بضمانات خطية روسية (أو سورية عن طريق موسكو) ومن باقي الأطراف الدولية (أو الفصائل المسلحة عبرها).
وكانت وزارة الخارجية الروسية قد أكدت، في بيان حول نتائج «اجتماع لوزان»، «التزام كل المشاركين في اللقاء بالحفاظ على سوريا كدولة موحدة مستقلة علمانية يحدد السوريون أنفسهم مستقبلها من خلال حوار سياسي يجمع كل الأطراف». وأوضحت أن «الجانب الروسي شدد على أن ضمانة النجاح في تطبيق نظام وقف إطلاق النار هي فصل فصائل المعارضة المعتدلة عن مقاتلي المجموعة الإرهابية (جبهة النصرة) والمجموعات الأخرى المتحالفة معها»، لافتة إلى أن «هذا يتطلب العمل المناسب من قبل كل المشاركين في اللقاء مع القوى الموجودة في سوريا، ومن الضروري فهم أن العمليات ضد إرهابيي داعش والنصرة ستستمر». وفي المقابل، أعلن وزير الخارجية الأميركي جون كيري أنه تم نقاش «أفكار جديدة» لإحياء وقف إطلاق النار، موضحاً أن المباحثات التي استمرت أكثر من أربع ساعات تخللها «تبادل واسع للأفكار... رغم التوتر».
وفي سياق آخر، أبلغ مصدر مصري «الأخبار» أن ما جرى في «اجتماع لوزان» كان يشابه «ما حدث في اجتماع مجلس الأمن»، موضحاً أن «مصر دعيت في اللحظات الأخيرة باتصال هاتفي من وزير الخارجية الأميركي». وأشار إلى أن «الاجتماع شهد مناقشات علنية لرؤى متعارضة بين وزير الخارجية المصري سامح شكري ونظيره السعودي عادل الجبير»، موضحاً أن «الموقف المصري تمسك بضرورة أن يكون هناك مساحة للحوار السياسي بين جميع الأطراف السورية المختلفة... لكن الطرح لقي اعتراضات حول الأطراف التي سيجري التحاور معها».

الحدث

ما بعد «دابق»: أنقرة تناور بين «خطّين أحمرين»

بسهولة نجح الغزو التركي بمشاركة المجموعات المنضوية تحت لواء «درع الفرات» في السيطرة على بلدة دابق، وعدد آخر من البلدات والقرى. العمليّة التي انطلقت في أيلول الماضي أثمرت حتى الآن الاستيلاء على منطقة بطول 90 كم وعمق 20 كم. بينما تطمح أنقرة للوصول إلى عمق 45 كم، لكنها تصطدم في الوقت الرّاهن بخطين أحمرين: روسي وأميركي

صهيب عنجريني

حقّق الغزو التركي أمس هدفاً معنوياً كبيراً بسيطرته على بلدة دابق وعدد من القرى والبلدات المحيطة بها مثل احتيملات، وصوران اعزاز، وتلالين وصولاً إلى سنبل والمسعوديّة. المعارك التي خاضتها القوات التركية بمشاركة عدد من المجموعات المسلحة المنضوية تحت مظلّة «درع الفرات» لم تشذّ عن السيناريو الذي تكرّر منذ بدء عمليات الغزو من حيث انسحاب تنظيم «داعش» سريعاً، ومن دون دفاع مستميت كما دأبت العادة في كل معارك التنظيم قبل «درع الفرات».
ولم تحُل «الرمزيّة» التي تحظى بها بلدة دابق بين التنظيم المتطرف وبين الانسحاب السريع منها. وكما أشارت «الأخبار» في وقت سابق، كان «داعش» قد اتّخذ قرار الانسحاب قبل قرابة أسبوعين، وبدأ بتهيئة «بيئته» ومقاتليه للأمر عبر ترويج خطاب «شرعي» مفادُه أنّ المعركة الراهنة لا علاقة لها بـ«موقعة آخر الزمان» التي تؤكّد «أدبيّات التنظيم» أنّ دابق ستكونُ مسرحاً لها. (راجع «الأخبار»، العدد 3002). وإذا كانت «رمزية دابق» من وجهة نظر «داعش» قد حظيت بنصيب وافٍ من تسليط الضوء، فإن للبلدة رمزيةً خاصة لدى الأتراك أيضاً، حيث كانت مسرحاً لمعركة تاريخيّة بين العثمانيين والمماليك قبل خمسمئة عام. وكان انتصار العثمانيين فيها مفتاحاً لسيطرتهم على كامل سوريا لاحقاً، ومن ثمّ للانطلاق نحو مصر والاستيلاء عليها. ويمكن القول إنّ ما حقّقته «درع الفرات» أمس كفيلٌ بالتحوّل إلى نقطة مفصليّة في سير العمليّة، ولا يبدو التحرّك نحو أهداف جديدة «من الوزن الثقيل» أمراً متاحاً في المدى المنظور. ومن المرجّح أن يعكف الأتراك في المرحلة الرّاهنة على تكريس وجودهم والمجموعات التابعة لهم في المنطقة التي تحوّلت إلى «منطقة آمنة» غير مُعلنة، مع الاكتفاء بقضم مزيد من القرى والبلدات الصغيرة شمال الباب.
ومن بين البلدات التي تحظى بأهميّة أكبر من سواها تبرز «تل مالد» (أقصى الشمال الغربي من الباب). ومن شأن ضمّ هذه البلدة إلى المناطق المستولى عليها تركياً أن يمنح هامش أمان إضافياً لمدينة مارع، حيث تقع «تل مالد» جنوبها مباشرةً. كما تتيح السيطرة على تل مالد التضييق على «قوات سوريا الديمقراطية» بقيادة الأكراد، التي تتمركز في «أم حوش» بعدما طردت تنظيم «داعش» منها.
ويختلف الأمر لدى الحديث عن احتمالات انطلاق «درع الفرات» نحو مدينة الباب أو مدينة منبج (ريف حلب الشرقي). وتشير المعطيات المتوافرة إلى أنّ الانطلاق حالياً نحو مدينة الباب (تحت سيطرة «داعش») دونه «خطوط حمر» روسيّة. وتؤكّد معلومات متقاطعة حصلت عليها «الأخبار» أنّ «حدود التوافق التركي الروسي غير المعلن في شأن درع الفرات تلحظُ عدم الانطلاق نحو الباب في المرحلة الراهنة». كذلك؛ يبدو التفكير في مهاجمة منبج محاطاً بعقبات كثيرة، على رأسها أنّ المدينة واقعةٌ تحت سيطرة «المجلس العسكري لمنبج وريفها» الذي سبق له أن طرد «داعش» منها بعونٍ أساسيّ من «طيران التحالف الدولي» و«قوّات سوريا الديمقراطيّة». وعلاوةً على أنّ مهاجمة منبج على يد الأتراك تحتاج إلى رفع لـ«الخط الأحمر» الأميركي (وهو أمرٌ لا يبدو متاحاً في المدى المنظور)، ثمّة عقبات أخرى على رأسها أنّ المعركة ضدّ «المجلس العسكري لمنبج» لن تكون نزهةً شبيهةً بالمعارك التي تخوضها «درع الفرات» ضدّ تنظيم «داعش». ومن المستبعد أن تنجح أنقرة حالياً في كسر أيّ من الخطّين الأحمرين المذكورَين، ولا سيّما في ظل انهماكها في انتزاع دور أساسيّ في معارك تحرير الموصل المُنتظرة، لكنّ ذلك لا يعني اقتصار المطامع التركيّة على ما جرى تحقيقه، بقدر ما يعني إرجاء بعض الخطوات إلى «اللحظة المناسبة».
وضمن هذا الإطار جاءت تصريحات وزير الخارجية التركي مولود جاويش أوغلو أمس لتؤكّد أنّ «هدف درع الفرات يتمثّل في الوصول إلى مدينة الباب». بدوره جدّد وزير الدفاع التركي فكري ايشيق الحديث عن «المنطقة الآمنة» مشيراً إلى أنّ «درع الفرات» لن تتوقّف قبل النجاح في «الوصول إلى عمق 45 كيلو متراً» داخل الأراضي السورية. وقال ايشيق إنّه «لم يعد من السهل بعد الآن إطلاق الصواريخ نحو تركيا إنطلاقًا من الأراضي السورية»، وأضاف «انتهى عصر الدفاع عن بلدنا من داخل حدودنا، وباتت أولويتنا تتمثل بسحق والقضاء على أي تهديد موجه ضدنا حيث يكون». وكان الرئيس التركي رجب طيّب أردوغان قد كرّر قبل يومين الحديث عن قرب إعلان «منطقة آمنة» شمال سوريا على مساحة خمسة آلاف كيلومتر مربّع. وربط أردوغان بين هذا الإعلان و«معركة دابق».

> يختلف الأمر لدى الحديث عن انطلاق «درع الفرات» نحو الباب أو منبج

حقّق الغزو التركي هدفاً معنوياً كبيراً بسيطرته على بلدة دابق (أ ف ب)

المدينة. هذا ما سيصادفك قبل أن يظهر أمامك جبل مهيب مجلل بالسواد. الشموخ يظهر في كل شيء... في أعين الناس الطيبين، وأشجار الأرض العطشى، وصولاً إلى قبور الشهداء المتناثرة في كل مكان. يفاجئ زوار المدينة صروحٌ لها بضع درجات رخامية، تقودك إلى أعلى القبر الجليل، إضافة إلى سقف هرمي يوحي بتميّز البيت الأخير للفقيد الغالي. يقول أبو أدهم، رجل ستيني من أبناء المدينة: «الشهيد مدفون في التراب بالطبع، غير أن علوّ الصرح يشير إلى أهمية الفقيد. قبور الموتى العاديين منخفضة كما القبور في سائر المدن السورية». الرجل الذي يرتدي لباس المنطقة التقليدي ويلقي الشعر بالعامية للترحيب بضيوف الجبل وهو يصنع القهوة بيديه، يشرح حياة الأهالي في ظل حماية الجيش وقوات «الدفاع الوطني» من أبناء المنطقة، بوجود خطر «داعش» القريب، وبقية الفصائل المسلحة على أطراف الريف ذي الحدود المشتركة مع مدينة درعا. أما أم أدهم، فهي تشكو قلة المياه خلال السنوات الأخيرة، ما أثّر في إنتاج مزرعتها الصغيرة، أو ما يمكن أن يسمى حديقتها الصغيرة.

... وخطف أيضاً

النفَس المعارض الواضح في المدينة ضاع بين أصوات الحكمة والتهدئة التي تقضي بتجاوز محنة البلاد، رغم الكثير من محاولات «استثارة نخوة» أهالي الجبل للمشاركة بـ«الحراك السلمي» مع بداية الأحداث السورية. يرى سالم، ابن المدينة الثلاثيني، أن المدينة التي تستقبل يومياً شهيداً أو أكثر في جنازة لائقة، والتي «انضبطت» خلال الحرب رغم جميع صيحات التحريض للتمرد، تستحق أن تولى اهتماماً خاصاً، مضيفاً: «برغم أن المنطقة غنية بالآبار، فقد سبّب المسؤولون، لا غيرهم، أزمة المياه». ويرى قيس الشاعر، وهو مغترب يمضي إجازته في السويداء، أن حوادث الخطف هي أصعب ما تعانيه المنطقة، عازياً سبب فقدان الأمن إلى انتشار تهريب الوقود. ويضيف: «أزمة الكهرباء مستمرة في ظل تقنين غير منظم. فيما دخلت أزمة المياه على خط الحاجة، دون توافر البديل لدى مؤسسة المياه». ويرى أن السويداء تعاني غياب القانون، باعتبار أنّ القائمين على تطبيقه مغيّبون أو مستفيدون من الفوضى المستمرة. اغتيالات وتفجيرات وأعمال شغب عديدة فشلت في إلحاق السويداء بركب «الثورة السورية»، في ظل تحالف حقيقي بين أبناء المدينة ووجهائهم مع الدولة، التي تهتم بمطالبهم، على الرغم من رداءة الخدمات في السويداء. وكما كل المناطق التي عانت ويلات الحرب، تتواصل الخشية من احتمال دفع المدينة ثمن جيرتها مع عاصمة «الثورة» الجنوبية، درعا.

أعمال الشغب... والإعلام

تشي زيارة المدينة، بالتوازي مع «أعمال الشغب» التي تشهدها المدينة والمعارك الدائرة في الأرياف المتقاطعة مع درعا، بأن الرحلة قد لا تكون وفق الأمنيات. هكذا ـ بكل بساطة ـ بثّت وسائل إعلام معارضة من سجن السويداء، قبل أكثر من شهر، تمرداً قام به سجناء جدد لا ينتمون إلى المدينة، نُقل معظمهم في الفترة الأخيرة من سجن حماه، كذلك صادر رجال الأمن 200 هاتف محمول وعدداً كبيراً من أجهزة الاتصال. الاستعصاء داخل السجن تطور إلى محاولة للسيطرة على مستودع الذخيرة بعد احتجاز عدد من عناصر حراسة السجن، في «نية للهجوم على المدينة من قلب السجن» وفق معلومات من المحافظة. المعلومات تحدثت عن تطويق رجال الأمن للسجن وسط فوضى عارمة سادت المكان، بالتزامن مع قطع خدمة الإنترنت في المدينة إلى أن ضُبطت الأوضاع.
أبناء السويداء لم يكونوا معنيين تماماً بالهرج الحاصل داخل السجن، حيث كان عدد من أقارب وأصدقاء الشاب ريان أبو فخر، الذي وقع ضحية جريمة قتل، معتصمين أمام مبنى المحافظة للمطالبة بتنفيذ حكم الإعدام بحق القتَلة، ومن بينهم فتى من آل بلان، الذين سارعوا إلى التبرؤ منه قبل أن تتحول جريمته إلى أعمال ثأر متبادلة بين عشائر السويداء، التي يرفض أبناؤها النوم على ضيم. وفي آخر التطورات لحادثة الاستعصاء، خُطف رجل وابنه على طرق القريا ـ السويداء الشهر الفائت، وطلب الخاطفون الإفراج عن بعض الموقوفين في السجن لمبادلة المخطوفَين بهم، وهو ما عدّه بعض أبناء المنطقة خرقاً أمنياً خطيراً لا يبشّر بأي خير قادم.

> «أمان ومو أمان»، إجابة تختصر الوضع في السويداء منذ بداية الحرب